المخطوطات المزينة بالمنمنمات

رغم أنه لم يصل إلينا شيءٌ كثيرٌ من المخطوطات العربية المُزَيَّنة بالصور والمُنَمْنَمات[1] إلا أن ما وَصَلَ إلينا منها يُمَثِّل النوع الرئيسي من التصوير الإسلامي الذي تَتَّضح فيه خصائص هذا الفن وما طرأ عليه من تَطَوُّر. لذلك فإن دراسة التصوير الإسلامي تقوم بصفة أساسية على المُنَمْنَمات التي تُزَيِّن صفحات المخطوطات أو تُوَضِّح مَتْنَها.

ووَصَلَت إلينا نصوصٌ قديمة تشير إلى عناية المسلمين بتزويق المخطوطات منذ القرون الأولى للإسلام. ومن أوْضَح هذه النصوص ما جاء في مقدمة الترجمة العربية لكتاب «كليلة ودمْنَة»، وهي مجموعة قصص هندية قديمة على لسان الحيوان تُنْسَب إلى بَيْدَبا الفيلسوف نَقَلَها إلى العربية عبدالله بن المُقَفَّع في أيام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور نحو عام ١٣٣هـ/ ٧٥١م، لا عن النص السَّنسكرِيتي الأصلي ولكن بواسطة نَصّ فارسي تفصله عنه نحو ستة قرون. ولا شك أن الأصل الفارسي الذي نَقَلَ عنه ابن المُقَفَّع كان يحتوي على مُنَمْنَمات تأَثَّرَ بها النَّص العربي، فيقول ابن المُقَفَّع في المقدمة:

«قد يَنْبَغي للناظر في كتابنا هذا ألا تكون غايته التَّصَفُّح لتزاويقه».

وأن من أغراض الكتاب الأربعة

«إظهار خيالات الحيوان بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنسًا لقلوب الملوك، وليكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور».

---

[1] مُنَمْنَمة ج. مُنَمْنَمات. اقترح الأستاذ بشر فارس هذه الكلمة مقابل الكلمة الأفرنجية Miniature وهي بمعنى التصويرة الدقيقة التي تُزَيِّن صفحة أو بعض صفحة من كتاب مخطوط. (بشر فارس: «صورة جديدة منمنمة من أسلوب التصوير البَغدادي»، مجلة المجمع العلمي المصري ٢٨ (١٩٤٥ - ١٩٤٦)، ١).

و«أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة، فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام، ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدًا»[١].

وهذا يدل على أن الكتاب كان أصله مُزَوَّقًا بالتصاوير إلا أنه لم يصل إلينا أي نُسَخ مزينة من هذا العصر المبكر، فأقدم نسخة مُزَيَّنة بالصور من «كليلة ودمنة» وَصَلَت إلينا كتبت على الأرجح في الشام بين عامي ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م و٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م وهي النسخة المحفوظة في المكتبة الوطنيةبباريس برقم ٣٤٦٥. ورغم أنه عثر فى إقليم الفيوم والأشمونين في مصر على أوراق مزوّقة بالصور كان بعضها يُؤلِّف أجزاءً من مخطوطات ترجع إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي هي أقدم أمثلة لدينا من التصوير العربي على الورق أو المخطوطات (محفوظة الآن في مجموعة الأرشيدوق رينر في ڤيينا)[٢] إضافة إلى بعض الأوراق المُزَوَّقة بالصور تُرَجَّح نسبتها إلى العصر الفاطمى (محفوظة الآن فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)، فإنه لم تصل إلينا مخطوطات عربية مصورة بتصاوير ذات قيمة فنية ترجع إلى ما قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[٣].

وقد ازدهر فن التصوير في مصر في العصر الفاطمي وذكر المقريزي في «خططه» عند ذكره للجامع الذي أنشأته السيدة تغريد زوجة الخليفة العزيز بالله الفاطمي بالقرافة، أخبار المصورين والمزوقين في هذا العصر وأشار إلى كتاب مجهول المؤلف في طبقات المصورين عنوانه «ضوء النِّبْراس وأُنْس الجُلاس في أخبار المُزَوِّقين من الناس»[٤] لا نعرفه إلا من خلال إشارة المقريزي هذه إليه.

ولن أشير هنا إلى الخصائص الفنية لمدارس التصوير الإسلامي وخاصة مدرسة بغداد التي تندرج تحتها المنمنمات التي زَوَّق بها المسلمون المخطوطات

---

[١] ابن المقفع : كليلة ودمنة ٧٣؛ حسن الباشا: التصوير الإسلامي في العصور الوسطى٩٢.

[٢] أحمد تيمور وزكي محمد حسن : التصوير عند العرب ١٨٥ - ١٨٩؛ حسن الباشا : فن التصوير الإسلامي في مصر ٤٢، ١٠٣.

[٣] راجع مقال رايس Rice, D. S., «The Oldest Illustrated Arabic Manuscripts», *BSOAS* 22 (1959), pp. 207-220

[٤] المقريزي: المواعظ والاعتبار ٢ : ٣١٨.

العربية في العراق والشام ومصر وغيرها فى القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، والمدرسة المملوكية في مصر والشام في القرنين الثامن والتاسع للهجرة/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد وهما المدرستين اللتين تنتمي إليهما أغلب المخطوطات العربية المُصَوَّرَة التي وَصَلَت إلينا، فهذا موضوع تناوله باستفاضة الباحثون الذين أرَّخوا لتاريخ فن التصوير الإسلامي[1]. ولكن هدفنا هنا هو الإشارة إلى هذه المخطوطات باعتبارها أحد الأشكال المادية التي وصلت إلينا للمخطوط العربي.

* * *

وتنقسم التصاوير المُنَمْنَمة في المخطوطات العربية إلى نوعين أساسيين: النوع الأول يشمل التصاوير التي تُزَوِّق الكتب الأدبية، والنوع الثانى يشمل التصاوير التي تُوَضِّح نصوص الكتب العلمية والجغرافية وكتب الفنون الحربية.

الكتب الأدبية

أقدم الكتب الأدبية التي عُنى الفنانون المسلمون بتزويقها بالمُنَمْنَمَات كتاب «كليلة ودمنة» لعبد الله بن المُقَفَّع الذي كانت نسخته الأصلية مُزدانة بالصور.

---

[1] راجع على سبيل المثال، أحمد تيمور باشا: التصوير عند العرب، أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات زكي محمد حسن، القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٢؛ زكي محمد حسن: «مدرسة بغداد في التصوير الإسلامي»، سومر ١١ (١٩٥٥) ١٥ـ٤٦؛ حسن الباشا: التصوير الإسلامي في العصور الوسطي، القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦؛ أبا الحمد محمود فرغلي: التصوير الإسلامي نشأته وموقف الإسلام منه وأصوله ومدارسه، القاهرة ـ الدار المصرية اللبنانية ١٩٩١؛ نفسه: تصاوير المخطوطات في عصر الأيوبيين، رسالة ماجستير بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٨١؛ محمد عبدالجواد الأصمعي: تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام ونوابغ المصورين والرسامين من العرب في العصور الإسلامية، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٧١؛ جمال محمد محرز: التصوير الإسلامي ومدارسه، القاهرة ـ سلسلة المكتبة الثقافية ١٩٦٢؛ خالد الجادر: المخطوطات العراقية المرسومة في العصر العباسي، بغداد ١٩٧٢؛ Eustache De Lorey, «La Peinture Musulmane - L'École de Bagdad», *Gazette des Beaux - Arts* 10 (1993), pp. 1 - 13; Arnold, Th., *Painting in Islam,* Oxford 1928; Ettinghausen, R., *Arab Painting,* Skira - Geneva 1962; Rice, D. T., *Islamic Painting. A Survey,* Edinburgh 1971. بالإضافة إلى أبحاث ودراسات بشر فارس و I. و D. S. Rice Stchoukine H Buchtha E. Kühnel.

غير أن ما وَصَلَ إلينا من نُسَخ الكتاب المُزَيَّنَة بالصور لا تَرْجع إلى ما قبل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وأقدمها نُسْخَة المكتبة الوطنية في باريس رقم ar. 3465 وهي تشتمل على ٩٨ مُنَمْنَمَة من بينها ست مُنَمْنَمات أضيفت في القرن الثامن عشر، والنسخة غير مؤرَّخة ولا تشير إلى مكان نَسْخها، وإن ذَهَبَ الباحثون إلى أنها كتبت على الأرجح في الشام بين سنتي ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣و ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م[1]. وتحتفظ المكتبات العالمية بعدد كبير من مخطوطات «كليلة ودمنة» المُزَوَّقَة في باريس برقم ar. 3467 وفي البودليانا بأكسفورد برقم Pococke 400 وفي ميونخ برقم C arab 616 وفي مكتبة متحف الآثار باستامبول برقم 344 .

أما أشهر الكتب الأدبية التي شُغفَ الفنان المسلم بتزويقها بالمُنَمْنَمات فكتاب «المقامات» للحَريري، أبي محمد القاسم بن علي المتوفى سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م والذي أهداه إلى أنوشُرْوان بن خالد وزير السلطان محمود بن مَلَكْشاه السَّلجوقي المتوفى سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م.

وتؤلِّف «المقامات» مجموعة من القصص القصيرة ذات طابع معين يحكيها أحَدُ أثرياء العرب يُدْعى الحارث بن هَمَّام ويَذْكُر في كل منها حادثة شاهدها بنفسه. أما بَطَلُ «المقامات» فيُدْعى أبا زَيْد السُّروجي، ويتَمَثَّل هذا الرجل في «المقامات» كشيخ احترف الأدب ثم ضاقت به سُبُل العَيْش فخرج من بلده سَرُوج في أعلى الفرات، ثم أخذ يحتال على الناس بطرق شَتَّى لا تخلو من المَرَح والدُّعابَة، وفي الوقت نفسه مستغلا مهارته الأدبية في تحقيق أغراضه مع الإشارة إلى ما في مجتمعه من عيوب ومساوئ[2].

واستهوت هذه المقامات بروعتها الأدبية وجمال أسلوبها ولُطْف دُعابتها المُصَوِّرين فعنوا بتزويقها بالمُنَمْنَمات وتمثيل قصصها بالرُّسوم.

---

[1] Ettinghausen, R., *Arab Painting*, p. 61

[2] حسن الباشا: المرجع السابق ١٠٥.

«حتى يمكن أن نُقَرِّر ـ كما يقول حسن الباشا ـ أنه لم يحظ كتابٌ عربيٌ بما حظيت به هذه المقامات من عناية المصورين»[١] .

وقد وَصَلَت إلينا مخطوطات كثيرة لـ «مقامات» الحريري مُزَيَّنَة بالـمُنَمْنَمات مُوَزَّعَة بين دور الكتب العالمية ، أشهرها مخطوطة مجموعة شيفر Schefer التي كتبها ورسمها في بغداد سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م يحيي بن محمد الواسطي والمحفوظة الآن في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ar. 5847[٢]؛ وتحتفظ المكتبة نفسها بنسخة أخرى من المقامات تحت رقم ar. 6094 كتبت سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م أغلب الظن في بلاد الشام، ونسخة ثالثة تحت رقم ar. 3929 . كما يحتفظ المتحف البريطاني بأربع نسخ أرقامها Add. 7293 ، Add. 22114 ، Or. 1200[٣]، Or. 9718 وهذه النسخة الأخيرة رسمها عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م غازي بن عبدالرحمن الدمشقي ، بالإضافة إلى نسخة في مكتبة أسعد أفندي باستامبول برقم 2916 تشتمل على ٥٦ منمنمة كتبت في زمن الخليفة المستعصم العباسي (٦٤٠ – ٦٥٦هـ)[٤] وأخرى في معهد الدراسات الشرقية بأكاديمية العلوم بسان بطرسبرج برقم s. 23 من القرن السابع الهجري ، ونسخة في مكتبة البودليانا بأكسفورد برقم March 428 ونسخة في المكتبة الوطنية في ڤيينا برقم A. F. 9 ، وأخيرًا نسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء كتبت سنة ١١٢١هـ برقم ١٣٤ أدب . .

وقد زَوَّق العرب بالتصاوير كذلك كتاب «العُرْس والعرايس» للجاحظ وكتاب «الديارات» للشابشتي ، فقد رأى ابن طولون الصالحي المتوفى سنة

---

[١] حسن الباشا : المرجع السابق ١٠٥ .

[٢] راجع عنها ، عيسى سلمان : الواسطي ـ يحيى بن محمود بن يحيى رسام وخطاط ومذهب ومزخرف ، بغداد ١٩٧٢؛ ثروت عكاشة : فن الواسطي من خلال مقامات الحريري ، القاهرة ١٩٧٤ .

[٣] Hugo Buchthal, « Three Illustrated Harīrī Manuscripts in the British Museum », *The Burlington Magazine* 77 (1940, pp. 144 - 152.

[٤] Grabar, O., « A New Discovered Illustrated Manuscript of the *Maqāmāt* of Harīrī », *Ars Oriontalis* V(1963), pp. 97-109

٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م عدة كتب عربية مصورة عند صديق له فقيه مقيم بدمشق منها «الديارات» و«كليلة ودمنة» و«مقامات» الحريري[١].

ومن الكتب الأدبية التي زُوِّقت أيضًا بالتصاوير كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م، وتوجد منه نسخة مُزَوَّقة بأول كل جزء منها مُنَمْنَمَة نادرة[٢]، كانت في الأصل مكونة من عشرين جزءًا لا يوجد منها الآن سوى ثمانية أجزاء مُوَزَّعَة بين دار الكتب المصرية ومكتبة فيض الله باستامبول والمكتبة الملكية بمدينة كوبنهاجن، احتفظت ستة أجزاء منها فقط بِمُنَمْنَمَة كاملة على أغلفتها هي الأجزاء الثاني والرابع والحادي عشر والسابع عشر والتاسع عشر والعشرين.

وكتبت هذه النسخة بين سنتي ٦١٤هـ/ ١٢١٧م و٦١٦هـ/ ١٢١٩م، كتبها محمد بن أبي طالب البَدْري ربما في بغداد أو في دمشق فمكان النَّسْخ غير مُحَدَّد في الكولوفون الختامي لكل نسخة.

وتحتفظ دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٩ أدب بالأجزاء الثاني والرابع والحادي عشر، وتحتفظ مكتبة فيض الله بالجزأين السابع عشر والتاسع عشر تحت رقم ١٥٦٥ و١٥٦٦ (ومنها مصورة على الميكروفلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٤٩ و٥٠ ادب)، بينما تحتفظ المكتبة الملكية بكوبنهاجن بالجزء العشرين من النسخة نفسها وبه تمام الكتاب تحت رقم Ar. 168 وجاء بآخره:

«هذا آخر كتاب الأغاني الكبير الجامع
من تصنيف أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني
رحمه الله
ووقع الفراغ من انتساخه في شهر رمضان عظَّم الله

---

[١] انظر، ابن طولون الصالحي: ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر (مخطوط في دار الكتب برقم ١٤٢٢ تاريخ تيمور) ورقة ٣٥ظ؛ أحمد تيمور: التصوير عند العرب ٣٨.

[٢] Rice, O. S., « The Aghānī Miniatures and Religious Painting in Islam », *The Burlington Magazine* 95 (1953), pp. 218 - 134؛ بشر فارس: سوانح مسيحية وملامح إسلامية، القاهرة ١٩٦١، ٤٥ - ٦٠.

بركته على المسلمين من شهور سنة ست عشرة

وستمائة

وكاتبه يحمد الله ويشكره ويستغفر الله من جميع

ما جرى به قلمه ممّا لا يرضاه إنه كريم عظيم المغفرة

والرحمة

الحمد لله رب العالمين كما هو أهله وصلواته على نبيه محمد وآله الطاهرين وسلامه .

وحسبي الله وحده إنه نعم المعين والنصير

كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد بن أبي طالب البدري

حامداً الله على نعمه مصليًا على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين مسلما»[١] .

وجاء بآخر الجزء الحادي عشر من الكتاب المحفوظ في دار الكتب المصرية ما نصه :

«آخر الجزء الحادي عشر من الأغاني ويتلوه إنشاء الله تعالى

في الثاني عشر نَسَبَ العتّابي وأخباره

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حُنَيْش بن أوس بن مسعود بن عبدالله بن عمرو بن كلثوم الُشاعر

والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وعليّ وصيه

وآلهما الطاهرين وسلامه

كتبه وما قبله من الأجزاء محمد بن أبي طالب البدري

حامداً الله تعالى على نعمه مصليًا على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين

وذلك في شهور سنة أربع عشر وستمائة» .

وجاء على هامش الصفحة الأخيرة

«قوبل بالأصل المنقول منه

والحمد لله حق حمده

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه

وآله الطاهرين» .

---

[١] Stern, S. M., « A New Volume of the Illustrated Aghani Manuscripts » *Ars Orientalis* II (1957), pp. 501 - 503.

***

وإذا كانت النماذج السابق الإشارة إليها تُمَثِّل مدرسة بغداد في تصوير المخطوطات العربية في القرن السابع الهجري، فإن التصوير المملوكي في القرنين الثامن والتاسع للهجرة يُعَدُّ أحد الأنماط التي عرفتها المدرسة العربية في التصوير الإسلامي.

وبالرغم من خضوع مراكز هذه المدرسة إلى أسلوب فني عام يكاد يكون متشابهًا فيما بينها جميعًا، إلا أن لكل مركز من هذه المراكز الفنية سواء أكان بالعراق أم بالشام أم بمصر والمغرب والأندلس صفاتٌ خاصة به ترجع إلى عوامل ومؤثرات كلية كما قد ترجع إلى عوامل التَّطَوُّر.

وكان إنتاج مراكز هذه المدرسة العربية متشابهًا لدرجة يصعب معها أحيانًا نسبة مخطوطة بعينها إلى مركز بالذات، وهذا الغموض خاص بالمراكز الفنية في العراق والشام ومصر، أما ما عدا ذلك فهناك صفات ومميزات تساعد على نسبة المخطوطات إلى مراكزها. فبالنسبة للمغرب والأندلس نجد الخط المغربي كاف للتفرقة، كما تظهر أحيانًا بعض الظواهر المعمارية التي تُعَدُّ من خصائص العمارة المغربية الأندلسية.

وإذا كانت هناك صعوبةٌ في نسبة المخطوطات المصورة إلى مراكز العراق أو الشام أو مصر فيما يتَعَلَّق بإنتاجها في القرون السابقة للنصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي والقرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، فقد ظهرت بعد ذلك مميزات وتطورات سَهَّلَت هذا الأمر. فبعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية في سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م في أيدي المغول ضُمّ العراق إلى إمبراطورية المغول وتبعت أساليبه الفنية أسلوب المدرسة الإيرانية وأصبح يُمَثِّل أحد مراكز المدرسة المغولية في التصوير. وهكذا احتل التصوير المملوكي مكانه في المدرسة العربية وأخذت صفاته ومميزاته تتضح[1].

[1] جمال محرز: «فن التصوير المملوكي - نسخة من كتاب دعوة الأطباء لابن بطلان»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٧ (١٩٦١) ٧٥ - ٧٦.

وتحتفظ مكتبة الأمبروزيانا بميلانو في إيطاليا بمخطوطتين مزوقتين تُنسبان إلى المدرسة المملوكية في التصوير الإسلامي.

المخطوطة الأولى هي نسخة من كتاب «دَعْوَة الأطباء» للطبيب البغدادي أبي الحسن المختار بن الحسن بن عَبْدون بن بُطْلان المتوفى سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م، كان معاصراً لرئيس أطباء مصر في زمن المستنصر بالله الفاطمي علي ابن رضوان الطبيب المتوفى سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م. وقد زار ابن بُطْلان مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي في مستهل جمادى الآخرة سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م، وأقام بها ثلاث سنوات ثم سافر منها إلى القسطنطينية، وكانت بينه وبين ابن رضوان مراسلات ومشاحنات علمية طريفة[1].

وقد ألّف ابن بُطْلان «دَعْوة الأطباء» للأمير نصر الدين أبي نصر أحمد بن مراون الملقب بالقادر بالله صاحب ميافَرْقين وديار بكر. وسار ابن بُطْلان فيه

> «على مذهب كليلة ودمنة من أمثال الحكماء وكلام البلغاء ونوادر الفلاسفة؛ ليجد العالم فيه ما يوافق طريقه وينقاد المتعلم بسهلها إلى تسهيل غرضه ويقرب عليه تناوله، ويظهر للقارئ فضل الأطباء المهرة، وعجز المُمَخْرقين بهذه الصناعة».

وتوجد هذه النسخة في مكتبة الأمبروزيانا بميلانو في إيطاليا وهي محفوظة بها تحت رقم LXX(A125) (ومنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم ١٠٥ طب)، وتحتوى على إحدى عشرة صورة ملونة تتضح فيها المميزات الرئيسية للمدرسة العربية في عصر المماليك في كل من مصر وسوريا وهذه المخطوطة ذات شأن هام فى تاريخ التصوير المملوكي لأنها ترجع إلى أوائل العصر المملوكي، فقد جاء في خاتمتها :

---

[1] راجع ترجمته عند ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١ : ٢٤١ - ٢٤٣.

«وكان الفراغ من نسخه في العشر الأخير من جمادى الأول سنة ٦٧٢ كتبه محمد بن قيصر الإسكندري غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين»[١].

والمخطوطة الثانية هي نسخة من كتاب «الحيوان» للجاحظ، اكتشفها المستشرق السويدي أوسكار لوفجرين Oscar Löfgren سنة ١٩٣٩ وكتب عنها بحثًا مطولا في مجلة جامعة أوبسالا سنة ١٩٤٦[٢]. ولم نكن نعرف قبل هذا الاكتشاف أن كتاب «الحيوان» للجاحظ كان من الكتب التي اتخذها المصورون المسلمون موضوعًا لنشاطهم الفني. وتشتمل هذه النسخة المحفوظة بالمكتبة تحت رقم (D140) CXXX على اثنين وثلاثين مُنَمْنَمَة مرسومة في ثلاثين صحيفة لأن بكل من الورقة ٩و و٤٤ظ منمنمتان، وهذه المنمنمات ملونة بالأبيض والأحمر والأزرق والأصفر والأخضر والأسود والبرتقالي والبنفسجي والذهبي، وهي تُوَضِّح ما ورد في كتاب «الحيوان» عن الإنسان والحيوان والطير، فنجد رسومها وحدها أو مصحوبة برسوم أشجار أو مياه أو صخور أو عمائر.

ويلاحظ أن المُنَمْنَمات في هذه المخطوطة مثل مخطوطة «دعوة الأطباء» غير مُحَدَّدَة وغير مُلَوَّنَة الخلفية، ولم يرسم الفنان ما يدل على الأرض في أغلب الصور مكتفيًا بذلك الخط الأفقي الذي يقف عليه الأشخاص والحيوانات وتقام فوقه المباني وتنمو عليه الأشجار. وتُمَثِّل صور الأشخاص في هذه المخطوطة مناظر بلاط أو اجتمعات أو صَيْد طيور أو إطلاقها أو حيوانات مع حراسها. وقد تكون هذه الصور رسوم رجال فقط أو نساء فقط أو لهم معًا أو لأشخاص مع حيوانات وطيور[٣]. [انظر اللوحة رقم]

---

[١] راجع جمال محرز: المرجع السابق ٧٥ - ٨١.

[٢] Löfgren, O., *Ambrosian Fragments of an Illuminated Manuscript containing the Zoology of al-Ğāhiẓ*, with a contribution: *The Miniature - their Origin and Style* by Carl Johan Lamm, Uppsala Universitets Arsskrift 1946: 5, Uppsala - Leipzig 1946.

[٣] جمال محمد محرز: «فن التصوير الإسلامي في القرن ٨هـ/ ١٤م كتاب «الحيوان» للجاحظ»، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٤ (١٩٥٢) ٣٢ - ٣٣.

ومن المخطوطات التي تُمَثِّل كذلك التصوير المملوكي نسخة خاصة من «كليلة ودمنة» قَدَّمَت لها صوفي والزر وَصْفًا تفصيليًا في مجلة *Ars Orientalis*[١] . ونسخة من «مقامات» الحريري محفوظة في المكتبة الأهلية بفيينا تحت رقم A. F. 9 كتبها أبو الفضل ابن إسحاق في شهر رجب سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م تحتوي على تسع وستين صورة ملونة [٢] .

أما نسخة «كليلة ودمنة» التي تحتفظ بها المكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 3655 فهي واحدة من أقدم وأقيم نُسَخ الكتاب العربية وهي لا تحتوي على قيد فراغ من نسخها أو أية إشارة إلى مصدرها، وتبعًا لـ ١٢٢ منمنمة الموجودة بها وكذلك أسلوب كتابتها حيث كتبت بالخط النَّسْخ المشكول فإنها نُسخَت في بغداد أغلب الظن في الربع الثالث من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في زمن الإيلخانيين[٣] .

وتحتفظ مكتبة شيستربتي بدبلن تحت رقم5651 بالورقة الأخيرة من كتاب «دَمْعَة الباكي» لشهاب الدين.أحمد بن يحيى بن فَضْل الله العُمَري المتوفى سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م . كتبها بخطه autographe سنة ٧٤٥هـ، جاء في قيد الفراغ من كتابتها

«تمت دمعة الباكي
بحمد الله وعونه وصلاته على سيدنا محمد
نبي الرحمة وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلامه
سمعه من لفظي المولى الشيخ الحافظ الأوحد الرحلة أبو الخير سعيد بن عبدالله
الذهلي الحنبلي أطال الله بقاءه والشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم بن كمال

---

[١] Sofre Walzer, « An Illustrated Leaf from a Lost Mamluk Kalīlah wa Dimnah Manuscript », *Ars Orientalis* II (1957), pp. 503 - 505.

[٢] Gray, Basil, « Fourteenth-Century Illustration of the Khalilah wa Dimnah », *Ars Islamica* VII (1940), pp. 125-133.

[٣] Barrucand, Marianne, « Le *Kalila wa Dimna* de la Bibliothèque Royale de Rabat - Un manuscrit illustré il-kānide », *REI*54 (1986), pp. 17-48

الدين محمد بن نصر الله الأنصاري بداري بسفح قاسيون في يوم السبت سابع صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة وكتب أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري عفا الله عنه» .

وحواف الورقة غير مستوية وقياسها ١٨ × ١٣سم بينما قياس المنمنمة ١٠×٧ , ٤سم وهي تمثل رجل ملتحي ينحني على الأرض ويسحب جَمَل ينحني برأسه أيضاً إلى الأرض . وقد عَقَد D. S. Rice الذي دَرَس هذه الورقة مقارنة بينها وبين منمنمات مشابهة وردت في نسخة مقامات الحريري المحفوظة في المكتبة البريطانية برقم Or. 9718 [١] .

وإلى جانب المخطوطات الأدبية زوَّق المصورون المؤلفات التاريخية ، ومن أهم الكتب التاريخية التي عنى المصورون بتزويقها كتاب «جامع التواريخ» للوزير رشيد الدين فضل الله الهمذاني الذي بدأ في تأليفه بأمر من السلطان الإيلخاني غازان خان ، ثم أمره السلطان أولجايتو بإتمامه . وقد شَيَّد الوزير رشيد الدين ضاحية لمدينة تبريز أطلق عليها الرشيدية واستقدم إليها الخطاطين والمصورين والفنانين لتدوين مؤلفاته التاريخية والفلسفية وتصويرها ومن بينها كتاب «جامع التواريخ» . ويتكوَّن الكتاب من مجلدين يشتمل المجلد الأول على تاريخ القبائل التركية والمغولية وتاريخ جنكيزخان وأسلافه وخلفائه حتى غازان خان ، ويشتمل المجلد الثاني على تاريخ العالم منذ آدم وتاريخ الفرس القدامى ثم تاريخ الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، وقد كتب رشيد الدين تاريخه باللغتين الفارسية والعربية [٢] .

ووَصَلَ إلينا عددٌ من مخطوطات لأجزاء من كتاب «جامع التواريخ» مُزَوَّقَة بالتصاوير ، منها أجزاء باللغة العربية بعضها محفوظ في مكتبة جامعة أدنبره

---

[١] Rice, D. S., « An Autograph of Shihāb al-Dīn Ibn Faḍlallāh al-'Umarī » *BSOAS* XIII (1949-50), pp. 856-867 .

[٢] حسن الباشا : المرجع السابق ١١٩ .

كتب سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٦ وبعضها الآخر محفوظ بالجمعية الآسيوية الملكية بلندن كتب سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م[١].

ومن الكتب التي حظيت بعناية المصورين المسلمين كذلك كتاب «الآثار الباقية عن القرون الخالية» لأبي الرّيْحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٤٨م، وقد عنى البيرونى بدراسة الرياضة والفلك والطب والتاريخ وكانت له مراسلات مع الشيخ الرئيس ابن سينا، ويشتمل كتابه من بين موضوعاته على تاريخ الأديان. ووَصَلَت إلينا بعض مخطوطات الكتاب تزوقها التصاوير أهمها النسخة المحفوظة في جامعة أدنبره والتي كتبها ابن القُبْطي سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م وتضم النسخة ٢٤ مُنَمْنَمَة يمثل بعضها موضوعات دينية إسلامية ومسيحية كان لها تأثير واضح على تصاوير بعض المخطوطات الأحدث من الكتاب.

وأهم الأقطار التي وصلت إلينا منها مخطوطات مصورة حسب أسلوب المدرسة العربية هي أولا: العراق حيث ازدهر فن التصوير في بغداد وديار بكر والموصل، وثانياً: مصر وسورية في فترة حكم المماليك، وأخيراً إيران في عصري السلاجقة والمغول[٢].

ولاشك أن بغداد ـ عاصمة الخلافة العباسية ـ كانت أهم مراكز التصوير العربي، وتحتفظ دار الكتب المصرية تحت رقم ٨ طب خليل أغا بنسخة من كتاب «البَيْطَرَة» كتبه علي بن حسن بن هبة الله في آخر رمضان سنة ٦٠٥هـ/ آخر مارس سنة ١٢٠٩م وتُمَثِّل مُنَمْنَمات هذه النسخة المرحلة الأولى من مراحل

---

[١] حسن الباشا: المرجع السابق ١٢٠ – ١٢١؛ وانظر كذلك Basil Gray, *The "World history" of Rashid al-Din : a study of the Royal Asiatic Society manuscript*, London - Faber 1978; *Catalogue of RASHID AL- DIN'S "World history" : Persian illustrated manuscript written in Arabic by order of the Il-Khanid ruler ULJAYTU at the Rashidiya scriptorium, Tabriz and dated A. H. 714/ A. D. 1314*, London - Sotheby 1980.

[٢] نفسه ١٢٩.

المدرسة العربية، وتمتاز بالبساطة التامة وبقلة عدد العناصر التى تتألّف منها المُنْمْنَمَة، وهذه النسخة هى الكتاب الوحيد المُزَوَّق من المدرسة العربية الذي يشتمل على كتابة تنسبه إلي مدينة بغداد[١].

وأقرب التصاوير من حيث الأسلوب إلى تصاوير كتاب «البَيْطَرَة» بعض المنمنمات الموجودة في نسخة من كتاب «الحشائش» أو «خواص العقاقير» لديسقوريدس مُوَزَّعَة بين بعض المتاحف والمجموعات الفنية ترجع إلى سنة ٦٢١هـ (مكتبة طوبقبوسراي باستانبول ومتحف اللوفر بباريس)، ومع ذلك فإن منمنمات هذا الكتاب أكثر تَقَدُّمًا من حيث الأسلوب القصصي وتعقيد الزخارف وتمثيل الحركات بسبب تأخر تاريخ هذه النسخة عن نسخة كتاب البَيْطَرَة بنحو خمس عشرة سنة[٢].

وكتاب «الحشائش» لديسقوريدس من الكتب المصورة في أصلها اليوناني، يقول ابن جُلجل الأندلسي في مقدمة تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس:

> «وَرَدَ هذا الكتاب إلى الأندلس وهو على ترجمة اصطفن، منه ما عرف له اسمًا بالعربية ومنه ما لم يعرف اسمًا، فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق وبالأندلس إلى إيام الناصر عبدالرحمن بن محمد وهو يومئذ صاحب الأندلس، فكاتبه أرمانيوس الملك ملك القسطنطينية أحسب في سنة ٣٣٧هـ وهاداه بهدايا لها قدر عظيم، فكان في جملة هديته **كتاب ديسقوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب**، وكان الكتاب مكتوبًا بالإغريقي الذي هو اليوناني»[٣].

---

١ زكى محمد حسن: مدرسة بغداد في التصوير الإسلامي ١٣ ؛ حسن الباشا: المرجع السابق ١٢٩ - ١٣٢.
٢ حسن الباشا: المرجع السابق ١٣٢.
٣ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢ : ٤٨.

وإذا كانت بعض المخطوطات المصورة التي وصلت إلينا قد كتبها وصَوَّرَها شخص واحد مثل نسخة «مقامات الحريري» المعروفة بـ «حريري شيفر» المحفوظة في باريس التي كتبها وصَوَّرَها يحيى بن محمود بن يحيى الواسطي، فعادةً ما كان المصور شخصاً آخر غير كاتب المخطوط. وكان الناسخ يترك بياضاً بالصفحة ليملأه بعد ذلك المصور، وكثيراً ما تركت بعض البياضات دون تصوير خاصة وأن عملية التصوير كانت تتم أحياناً بعد كتابة النسخة بزمن غير قصير.

ومن بين الأشخاص الذي شُهروا بحسن الخط وجودة التصوير، محمد بن أحمد بن عبدالله بن صابر السُّلَمي الكاتب المتوفى سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م. يقول عنه الصَّفَدي:

> «كتب الخط المنسوب، وتصويره أحسن وأعلى طبقة من خطه. كان مغرًى بأن يَنْسخ الكتاب ويُصَوِّره مثل «ديوان أبي نُوَاس» رواية حمزة الأصبهاني، ومثل «فلك المعاني» لابن الهَبَّارية وغير ذلك. مَلَكْتُ بخطه وتصويره كتاب «فلك المعاني» وذكر في آخره أنه كتبه وصَوَّره في المحرم سنة ثمان عشرة وستمائة»[١].

الكتب العلمية

تشتمل كثيرٌ من الكتب العلمية ـ بحكم موضوعها ـ على تصاوير علمية بحتة لا تدع مجالاً للإبداع الفني، وقد لا تحتوي على رسوم آدمية أو حيوانية مثل بعض كتب النبات والجغرافيا والهندسة، ومع ذلك فإن بعض هذه الكتب تضم تصاوير يمكن أن تدخل ضمن الإطار الفني إلى جانب أهميتها العلمية بسبب اشتمالها على رسوم آدمية وحيوانية[٢]. ونظراً لأن القصد من هذه التصاوير هو تفسير نصوص الكتاب وشرحها وتوضيحها دون زيادة أو تزويق،

---

١ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢ : ١١٣.

٢ حسن الباشا: المرجع السابق ٩٣.

فإنها تفتقر عادة إلى الطابع الفني باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من النصوص نفسها، ومن ثم كانت في كثير من الأحيان تُنْقَلُ نَقْلا يكاد يكون تامًا من النُسَّخ الأصلية، حتى أن الصور ذات الموضوع الواحد في المخطوطات المختلفة تتشابه دون اختلاف كبير على الرغم من طول الزمن الذي يفصل بينها، وعلى الرغم كذلك من اختلاف الأقطار التي صُوِّرَت فيها [١].

وتشمل المخطوطات العلمية أساسًا مخطوطات الرياضيات والفلك والطب والبَيْطَرَة والفروسية والفنون الحربية والكيمياء والطبيعة وعلميّ الجغرافيا والتنجيم. وتعتبر المجلدات التي خَصَّصَها الدكتور فؤاد سزجين عن الرياضيات والفلك والتنجيم والطب والكيمياء والجزء الذي سيصدره عن الجغرافيا العربية نقطة الانطلاق لأية دراسة جادة للمؤلّفات العلمية الإسلامية.

ومن أشهر مخطوطات الكتب العلمية المزدانة بالتصاوير والرسوم الإيضاحية والتي وَصَلَت إلينا كتاب «معرفة الحيل الهندسية» أو «الجَمْع بين العلم والعمل النافع» لأبي العزّ بن إسماعيل الرزّاز الجَزَري الذي كلّفه بتأليفه في سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م السلطان نور الدين محمد بن قرا أرسلان أحد سلاطين الأُرْتُقيين في ديار بكْر ليُضَمِّنه مخترعاته من الحيل الميكانيكية. وأتمّ الجزري تأليف كتابه سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م في عهد ولده السلطان الصالح ناصر الدين محمود. ويشتمل الكتاب على وَصْف للآلات المختلفة التي تَوَصَّل إليها من ضاغطة ورافعة وناقلة ومتحركة وللساعات المائية، ولا شك في أن النسخة الأصلية للكتاب التي كتبها الجزري كانت مُزْدانة بالتصاوير التوضيحية خاصة وأن أحد نسخ هذا الكتاب المتأخرة وهي نسخة مكتبة أكسفورد رقم Gravely 27 تُحَلِّيها صور ظهر من بينها أحد الرسوم الآدمية وقد كتب عليها اسم «نور الدين محمد» الذي حكم في الفترة بين سنتي ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م و٥٨١هـ/ ١١٨٥م.

---

[١] حسن الباشا: المرجع السابق ١٠٢.

وتحتفظ مكتبة متحف طوبقبوسراي باستانبول تحت رقم 3472 بأقدم نُسَخ هذا الكتاب التي كتبها في نهاية شهر شعبان سنة ٦٠٢هـ/ إبريل سنة ١٢٠٦م نقلا عن أصْل الجَزَري محمد بن يوسف بن عثمان الحصنكيفي أي في نفس العام الذي أتم فيه الجزري تأليف كتابه. والنسخة غنية بالأشكال التي توضِّح الشكل الخارجي للآلات وكذلك طرق عملها المختلفة، وهي تتَّفق بشكل غريب مع الأشكال الموجودة في نسخة الكتاب المحفوظة في مكتبة آيا صوفيا التي نقلت عنها في أغلب الظن.

وتعدالأشكال الموجود في مخطوطة طوبقبوسراي من كتاب الجَزَري المؤرخة سنة ٦٠٢هـ من أقدم المخطوطات العربية المؤرخة المزدانة بالصور، وهي بذلك أقدم من الأشكال الموجودة من نسخة كتاب «الحشائش» لديسقوريدس المحفوظة في المكتبة نفسها[١].

وتوجد لكتاب الجَزَري نسخة أخرى كتبها في مصر سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٤م شخصٌ يدعى محمد بن أحمد، وهذه النسخة مُوَزَّعَة بين مكتبة آيا صوفيا باستانبول ومتحف الفنون الجميلة في بوسطن؛ كما وَصَفَ الأستاذ Aga Oglu نسخة أخرى من هذا الكتاب مؤرخة سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م محفوظة في مجموعة كيفوركيان بالولايات المتحدة كان يُظَنّ قبل اكتشاف نسخة طوبقبوسراي أنها أقدم نسخ الكتاب[٢].

[نشره بالفاكسميلي ماجد عبدالله الشمس في بغداد ـ مركز إحياء التراث العلمي العربي ١٩٧٧ بعنوان : مقدمة لعلم الميكانيكا في الحضارة العربية؛ ثم حققه أحمد يوسف الحسن بالتعاون مع عماد غانم ومالك الملوحي ومصطفى يعمري، حلَب ـ معهد التراث العلمي العربي ١٩٧٧].

---

[١] Stchoukine, I., « Un manuscrit du traité d'al-Jazari, sur les automates du VII^e siècle de l'hégire », *Gazette des Beaux-Arts* XI (1934), pp. 134-140.

[٢] *Ibid.*, p. 134.

ومن الكتب العلمية الطبية التي وَصَلَت إلينا منها نُسَخ موضَّحة بالتصاوير والمنمنمات ترجمة لكتاب «التِّرْياق» لجالينوس، منها نسخة بالمكتبة الوطنية بباريس برقم 2964 كتبت سنة ٥٩٥هـ/ ١١٦٩م، فقد جاء في آخرها:

«تم الكتاب ولله المنة وصلواته على خاتم أنبيائه محمد وعترته الطاهرين أجمعين. كتبه أضعف عباد الله محمد بن السعيد شرف الحاج والحرمين أبي الفتح عبدالواحد بن الإمام الرشيد أبي الحسن بن الإمام المعتمد أبي العباس أحمد في ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمس مائة»

وهي بذلك من أقدم المخطوطات المزينة بالصور التي وَصَلَت إلينا، ورغم أن هذه النسخة مذكورة في فهرس المكتبة الوطنية بباريس فإنها لم تَلْفت انتباه أحد من العلماء الذين بحثوا عن المخطوطات العربية المصورة، حتى أنها لم تُعْرَض مع الكتب العربية المزوقة التي عرضتها المكتبة سنة ١٩٣٨ إلى أن فحصها الدكتور بشر فارس وقام بدارستها ونشرها بطريقة الفاكسميلي في سنة ١٩٥٣. ويشتمل الكتاب على «جوامع المقالة الأولى من كتاب جالينوس في المعجونات التي ذكر فيها معجون الدرياق خاصة بتفسير يحيى النحوي الإسكندراني». وخط هذه النسخة موزَّع بين الكوفي البديع والنَّسْخ الواضح على ثلاثة ألوان مؤتلفة أسود ولازوردي وأحمر مُشَبَّع. وتوجد للكتاب نسخة أخرى في مكتبة فيينا ولكنها نسخة متأخرة من النصف الثان للقرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي فضلا عن أن تصاويرها لا ترقى إلى تصاوير نسخة باريس كما أن خطها دون خط نسخة باريس في الجودة والتنسيق[١].

ومن الكتب الطبية المزينة بالأشكال التوضيحية أيضًا «مجموع في الطب» كتب سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م محفوظ في المكتبة التيمورية برقم ١٠٠ طب ويحتوي بين رسائله على كتاب «تذكرة الكحّالين» لعلي بن عيسى الموصلي وهو

---

١ Farès, Bishr, *Le livre de la Thériaque - Manuscrit arabe à peintures de la fin du XII^e siècle conservé à la Bibliothèque Nationale de Paris*. Le Caire - *IFAO* 1953.

يشتمل على دوائر وروسوم العين، وكتاب «علل العيون وعلاجها» لحنين بن إسحاق وبه أيضًا صور ملونة للعين[١].

وكتاب «التصريف لمن عَجَزَ عن التأليف» للطبيب الأندلسي أبي القاسم خَلَف بن عباس الزَّهْراوي المتوفى سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م، ومنه عدة نسخ أقدمها نسخة كتبت في المحرم سنة ٥٨٤هـ محفوظة في مكتبة خُدابخش بتنه بالهند برقم 2146 موضَّحة برسوم لآلات الجراحة تمثل مباضع ومناشير ومجارد ومقاطع[٢].

كذلك فقد عُنِيَ المُصَوِّرون بتزويق الكتب المتعلقة بالحيوان والبَيْطَرَة والفروسية، ومنها نسخة كتاب «الحيوان» للجاحظ المحفوظة في مكتبة الأمبروزيانا بميلانو السابق الإشارة إليها[٣]، ونسخة كتاب «نَعْت الحيوان» لأرسطو المحفوظة في المكتبة البريطانية برقم Or 2784 والمُرَجَّح أنها كتبت في بغداد في القرن السابع الهجري[٤]. وكتاب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقَزْويني المتوفى بعد سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م الذي يشتمل على العديد من الصور الملونة ومنه نسخة خزائنية كتبت في القرن الثامن الهجري محفوظة في مكتبة قسم التعليم بوزارة الخارجية بموسكو برقم E-7 وأخرى كتبت سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م في مكتبة رضا رامبور بالهند برقم ٣٧٥٠.

وكتاب «مختصر البَيْطَرَة» لأحمد بن الحسن بن الأحْنَف منه نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٨ طب خليل أغا وهي بخط علي بن حسن بن هبة الله كتبها في بغداد في آخر رمضان سنة ٦٠٥هـ/ مارس ١٢٠٩م وتضم ٣٩ منمنمة تشتمل على صور خيل وآدميين توضِّح أمراض الخيل وطريقة علاجها[٥].

---

[١] أحمد تيمور: التصوير عند العرب ٣٥.

[٢] Hamarnek, S. K., « Drawings and Pharmacy in al-Zahrāwi's 10th century Surgical Treatise », *United States National Museum Bulletin*, Washington 1961

[٣] انظر فيما سبق ص ٣٧٨.

[٤] حسن الباشا: المرجع السابق ٩٩.

[٥] Stchoukine, J., *Les manuscrits illustrés musulmans de la Bibliothèque du Caire*, pp. 139-140.

وكتاب «كامل الصناعتين، البَيْطَرَة والزَّرْدَقَة» المعروف بـ «الناصري» لبدر الدين أبي بكر بن المنذر البيطار المصري، أحد البياطرة باصطبلات الملك الناصر محمد بن قلاوون والذي ألَّفه لخزانته. منه نسخة خزائنية مشكولة محفوظة في دار الكتب المصرية برقم ١٢١٨ طب كـتـبت بَرسم «الجناب العـالي المولوي الأميري الكبيري المحترمي أقْباي بوّاب السلطنة الشريفة» كتبها محمد بن محمد بن البحيرى سنة ٨٦٣ هـ وبها رسوم لنعال الخيل وعلامات الكيّ.

وكتاب «الخيول والفروسية» وهو مختصر من كتاب محمد بن يعقوب بن أي حزام الخُتَّلي، منه نسخة خزائنية كتبت برسم خزانة الجناب العالي الأميري محمد أميراخور الناصري، وبها بعض صور للخيل محفوظة في مكتبة الفاتح باستانبول برقم ٣٥١٠.

وكتاب «نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية» تأليف الفارس نجم الدين محمد بن عيسى بن إسماعيل الحنفي الأقسرائي، منه نسخة خزائنية كتبت برسم خزانة السلطان الناصر جَقْمَق موضحة بالصور والأشكال محفوظة في مكتبة شيستربتي برقم Ms A 21 عرضها ديفيد جيمس في مقال سنة ١٩٧٤ James, D., «Mamluke painting at the time of Lusignan Crusade, 1366-70», *Humaniora Islamica* 2 (1974), pp. 73-87

و«مجموع في الفروسية والخيل والرَّمْي» يشتمل على ثلاث رسائل في الرَّمي والفروسية وأدوات القتال، منه نسخة نفيسة كتبت سنة ٨٧١هـ مُوَضَّحَة بالصور والرسوم والأشكال محفوظة في مكتبة روان كشك باستنبول برقم ١١٩٣٣.[1]

[1] عن كتب الفروسية عمومًا راجع Ritter, H., «La Parure des Cavaliers und die Literatur über die ritterlichen», *Der Islam* 18 (1929), pp. 116-154; Shihab el-Sarraf, «Furusiya Literature of the Mamluk Period», in *The Furusiya* edited by David Alexander, Wien 1997, pp. 118-135.

أما كتب النبات الـمُصَوَّرَة فَوَصَلَ إلينا منها كتاب «الحشائش» لديسقوريدس السابق الإشارة إليه[١]، ونسخة من الجزء الثاني عشر من كتاب «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العُمري المتوفى سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٤٨م، وهو الجزء الخاص بالنبات وبه صور ملونة لأنواعه، وهذه النسخة محفوظة في مكتبة البلدية في الإسكندرية برقم ٣٣٥٥ – ج ، ومنها نسخة أخرى محفوظة في مكتبة مانشستر بانجلترا برقم 344 بها صور للعديد من أشكال النبات المذكورة في الكتاب، وهذه النسخة استعارها مؤرخ مصر الكبير تقي الدين المقريزي وسَجَّل عليها بخطه :

«انتقاه داعيًا لمعيره أحمد بن علي المقريزي سنة ٨٣١»

[نشر هذا الجزء مزودًا بالصور الموجودة فيه الدكتور عبدالحميد صالح حمدان وصدر عن مكتبة مدبولي بالقاهرة سنة ١٩٩٦]

أما كتب الفنون الحربية المحتوية على أشكال لأدوات الحرب والقتال من نشاب ومنجانيقات وحصون وأبراج فكثيرة ويرجع أغلبها إلى العصر المملوكي في مصر، كما أن أغلب نسخها نسَخٌ خزائنية، ومن أقدمها :

«تَبْصرَة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسْواء ونَشْر أعلام الأعلام في العُدَد والآلات المعينة على لقاء الأعداء» لمَرْضي بن علي بن مَرْضي الطَرْسوسي المتوفى سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٤م الذي ألَّفه لخزانة السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. ومنه نسخة خزائنية نفيسة هي الأصل الـمُقَدَّم لخزانة صلاح الدين كتبت عناوينها وعلامات الترقيم بها بالذهب، وهي مليئة بالرسوم والأشكال التوضيحية للآلات المستخدمة في الحروب محفوظة في مكتبة أكسفورد برقم Hunt 264. ومن الكتاب نسخة أخرى كتبت بخطوط مختلفة آخرها بخط محمد بن سليمان سنة ٧٠٩هـ، وهي أيضًا موضَّحة بالأشكال والرسوم محفوظة في مكتبة آيا صوفيا باستانبول برقم ٢٨٤٨ .

---

[١] انظر فيما سبق ص ٣٨٢.

[نَشَرَ كلود كاهن قسمًا من مخطوطة أكسفورد بعنوان Cahen, Cl., «Un traité d'armurerie composé pour Saladin», *BEO* XII (1947-48), pp. 103-163]

و«الأنيق في المناجنيق» لابن أرنبغا الزردكاش وَضَعَه سنة ٨٦٧هـ، ومنه نسخة في مكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٣٤٦٩ في ٢٦ صفحة وهي مُوَضَّحَة بكثير من الصور والأشكال الخاصة لآلات المناجنيق وكيفية استعمالها وكيفية الهجوم بها على الحصون والقلاع مع رسوم أخرى لأنواع مختلفة من آلات القتال والحرب مثل أدوات قياس المسافات وأشكال السلالم المستخدمة في الحصار . . . إلخ .

[نشره الدكتور إحسان هندي وصدر بالتعاون بين معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ومعهد المخطوطات العربية بالكويت سنة ١٩٨٥].

و«تحفة المجاهدين في العمل بالميادين» للاجين بن عبدالله الذهبي الحُسامي المعروف بالطرابلسي المتوفى سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م. منها عدة نسخ خزائنية محفوظة كلها في استانبول وكلها مزودة بالرسوم والأشكال التي توضح ترتيب صفوف الجيش وصفوف المبارزة وشكل ميادين القتال، وهى في مكتبات: الفاتح برقمي ٣٥٠٩ و٣٥١٢، وأحمد الثالث برقم ٢١٢٩، وبغداد كشك برقم ٣٧٠، ونور عثمانية برقم ٢٢٩٤$_{٢}$، بالإضافة إلى نسختين في مكتبتي رضا رامبور بالهند برقم ٣٥٢٤ والأحمدية بحلب برقم ١٣٧٢ والمتحف الآسيوي بسان بطرسبرج .

[نشرها محمد عيسى صالحية في مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٨ (١٩٨٤)، ٣٨٩ - ٤٢٤].

ركتاب «الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب» لمحمد بن مُنْكُلي الناصري نقيب الجيوش في سلطنة الأشرف شعبان، منه نسخة موضّحة بالرسوم والأشكال محفوظة في مكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٣٤٦٩ .

وكتاب «العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع» وهو كتاب ألّفه بالأعجمية الرئيس إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمود بن زكريا

الأندلسي المشهور بالرياش ونقله إلى العربية أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه ابن الحجري الأندلسي ترجمان سلاطين مُرّاكش، منه نسخة بخط مغربي كتبت سنة ١١٩٨هـ مُوضَّحة بصور وأشكال كثيرة للمدافع وبعض المواقع الحربية محفوظة في المكتبة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية برقم ٨٦ فروسية.

وتُمَثِّل الكتب الجغرافية نوعًا هامًا من المخطوطات العربية التي وُضِّحَت بالأشكال والصور التي تُمَثِّل صور الأقاليم السبعة ومنابع الأنهار والخرائط. فقد ورث العالم الإسلامي ما عرفه الإغريق عن الجغرافيا عن طريق بَطْلَيموس، ويقوم هذا لعلم في الأساس على وضع صورة للمعمور من الأرض بناءًا على الأطوال والعروض المستخرجة بالقياسات الفلكية. وقد تَعَرَّف المسلمون على ذلك من خلال ترجمة «زيج» بَطْلَيموس وكتاب «المَجسْطي» الذي تُرْجم ثلاث مرات على يد يعقوب بن إسحاق الكندي وثابت بن قرة الحَرّاني وابن خَرْداذْبَه، فلذلك عندما طلب الخليفة المأمون العباسي (حكَمَ من ١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م) من الجغرافيين المسلمين تصحيح وتطوير ما وَصَلَ إليهم من جغرافية اليونان لم يكونوا يفتقرون إلى النضج والكفاءة اللازمة وكانوا قادرين على البدء في العمل والقيام به بالقدر الذي كانت تسمح به معلوماتهم في ذلك العصر في علم الهندسة وعلم الفَلَك، إلى جانب خبرتهم في الجغرافيا البشرية والطبيعية[١]. وقد نجح الجغرافيون العرب في قياس طول خط الاستواء قياسًا صحيحًا بناءًا على القياس الذ ي أجري بين الرَّقَّة وتَدْمُر ووصلوا إلى نتيجة تقترب جدًا من الطول الحقيقي «فكان هذا، كما يقول كارلو ألفونسو نللينو، أوّل استخراج علمي لطول خط الاستواء»[٢]. وقد وَصَفَ المسعودي في القرن الرابع الهجري هذا النشاط الجغرافي الذي ازدهر في عصر المأمون بقوله:

---

١ فؤاد سزجين: مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريط العالم ١٩ - ٢٠.

٢ نللينو: علم الفلك - تراثه عند العرب في العصور الوسطى، روما ١١ ١٩، ٢١٩؛ فؤاد سزجين: المرجع السابق ٢٠.

«ورأيت هذه الأقاليم مصَوَّرَة في غير كتاب بأنواع الأصباغ، وأحسن ما رأيت من ذلك في كتاب جغرافيا لمارينوس وتفسير جغرافيا قطع الأرض، وفي الصورة المأمونية التي عُملت للمأمون جاتمع على صنعهتا عدة من حكماء أهل عصره صَوَّر فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبرِّه وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك، وهي أحسن مما تَقَدَّمها من جغرافيا بطلميوس وجغرافيا مارينوس وغيرهما» [1].

وذكر أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزُّهْري المتوفي في أواسط القرن السادس الهجري في كتاب الجغرافيا أن خريطة المأمون اجتمع على عملها سبعون رجلا من فلاسفة العراق وضعوها على صفة الأرض

«ليَعْلَم الناظر فيهاجميع أجزائها وأصقاعها وحدودها وأقاليمها وبحارها وأنهارها وجبالها ومعمورها وقفرها وحيث تقع كل مدينة من مدائنها في شرقها وغربها، وينظر الناظر مكان أعاجيبها وما في كل جزء من الأعاجيب المشهورة والمباني الموصوفة بالقدم في أقطارها» [2].

ورغم أن خريطة العالم التي وضعها العلماء الجغرافيون في عصر المأمون لم تصل إلينا إلا أنها كانت الأساس الذي اعتمد عليه الجغرافيون اللاحقون، ثم وَصَلَت إلينا صورة لها في نسخة كتاب «مساك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م في الجزء الأول من مخطوطة أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٧٩٧على الصفحتين رقم ٢٩٣ - ٢٩٤ وهي نسخة كتبت ٧٤٠هـ، وقد نشرها وأعاد صنعها بناءاً على درجات الأطوال والعروض الأصلية سنة ١٩٨٨ الدكتور فؤاد سزجين [3].

وواضح من مقدمة كتاب ابن فضل الله العمري أن قسم المسالك كان مصوراً في الأصل، يقول:

---

١ المسعودي: التنبيه والإشراف، ليدن ١٨٩٤، ٣٣.

٢ الزهري: كتاب الجغرافية، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، BEO XXI (1968), p. 306

٣ فؤاد سزجين: المرجع السابق لوحة رقم ١١.

«لأُقَرِّب إلى الأفهام البعيدة غالب ما هي عليه أمّ كل مملكة من المصطلح والمعاملات، وما يوجد فيها غالبًا ليبصر أهل كل قطر القطر الآخر ويبيّنه **بالتصوير ليُعْرَف كيف هو كأنه قُدّام عيونهم بالمشاهدة والعيان»** [1] .

كما أن أصل كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي البشاري المتوفى بعد سنة ٣٨٠هـ، كان مصوراً، يقول في مقدمته :

«ثم فَصَّلْنا كُوَر كل إقليم ونصبنا أمصارها وذكرنا قصباتها ورتَّبْنا مدنها وأجنادها بعد ما مَثَّلنا ورسمنا حدودها وخططها، وحَرَّرْنا طرقها المعروفة بالحُمْرَة، وجعلنا رمالها الذهبية بالصُّفْرَة، وبحارها المالحة بالخُضْرَة، وأنهارها المعروفة بالزُّرْقَة، وجبالها المشهورة بالغُبْرَة ليقرب الوصف إلى الأفهام ويقف عليه الخاص والعام» [2] .

وذكر المقدسي في كتابه أنه شاهد تصويراً للبحر الشرقي الواقع بين بلد الصين وبلد السودان

«مُمَثَّلا على ورقة في خزانة إمير خراسان وعلى كرباسة عند أبي القاسم بن الأنماطي بنيسابور، وفي خزانة عضد الدولة والصاحب، وإذا كل مثال يخالف الآخر . . .» [3] .

كذلك فإن كتاب «[ذكر المسافات و] صُوَر الأقاليم» لأبي زُد البَلْخي المتوفى سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م كان مصوراً بالخرائط، يقول ياقوت الحموي :

«وكنت في سنة سبع وستمائة قد تَوَجَّهت إلى الشام وفي صحبتي كتبٌ من كتب العلم أتَّجر فيها وكان في جملتها كتاب " صُوَر الأقاليم " للبلخي **نسخة رائعة مليحة الخط والتصوير»** [4] .

---

[1] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي باشا، ١ : .

[2] المقدسي : أحسن التقاسيم ٦ - ٧، وانظر الصفحات ١١٣، ١٥٤، ٢١٦، ٢٤٨، ٣٦١، ٤٠٤، ٤٢١، التي تدلل على وجود أشكال في الأصل الذي كتبه المؤلف.

[3] نفسه : ١٠.

[4] ياقوت : معجم الأدباء ١٦ : ٢٢٥.

وقد وَصَلَت إلينا منه نسخة موضَّحة بالأشكال والصور ترجع إلى القرن الخامس الهجري محفوظة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ١٤ جغرافيا .

ومن المؤلفات الجغرافية التي وَصَلَت إلينا كذلك مشتملة على خرائط وأشكال كتاب «المسالك والممالك» المعروف بـ «صورة الأرض» لابن حَوْقَل ، فمنه نسخة كتبها سنة ٤٧٩ هـ علي بن الحسين بن بُنْدار تشتمل على عشرين خريطة ، محفوظة في مكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٣٣٤٦ ومنها مصورة في دار الكتب المصرية برقم ٢٥٨ جغرافيا .

وكذلك كتاب «تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن» لأبي الريحان البيروني المتوفي سنة ٤٤٠ هـ ، الذي يُعَدّ أوّل من تَطَرَّق إلي وضع حساب المثلثات الكروية في خدمة الجغرافيا الرياضية ، ومن حسن الحظ أن النسخة التي وَصَلَت إلينا من الكتاب والتي تشتمل على أشكال حساب المثلثات المستخدمة هي بخط البيروني نفسه فقد جاء في نهايتها :

> «تم كتاب تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن وفرغت منه بغَزْنَة لسبع بقين من رجب سنة ست عشرة وأربعمائة»[١] .

وأهم الكتب المشتملة على صور الأقاليم وعلى خرائط هامة هي : كتاب «نُزْهَة المُشْتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ/ ١١٦٥ م حيث ضَمَّنَه خريطة للعالم وصور للأقاليم صنعها للملك النورماندي روجر الثاني وأتمها سنة ٥٤٨ هـ/ ١١٥٤ م . وهو لم يعتمد فيها على جغرافية بطليموس بل على الجغرافيين العرب ومن ضمنهم جغرافيو المأمون . وهي موجودة في مخطوطة أكسفورد رقم Poc 375 ومخطوطة كوبريلي رقم ٨٥٥ .

---

١ حققه ب . بولجاكوف وراجعه إمام إبراهيم أحمد وصدر بدلا من المجلد الثامن من مجلة معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٦٤ .

ونسخة مقدمة ابن خلدون المكتوبة بخطه والمحفوظة في مكتبة عاطف أفندي بالسليمانية باستانبول تحت رقم ١٩٣٦ التي تشتمل على خريطة ملونة للعالم في غاية النفاسة.

وتشتمل «كتب الفَلَك» و«الزِّيجات» على رسوم بيانية وجداول توضِّح حساب مواضع الشمس والقمر في أي وقت، وحسابات احتمال رؤية الهلال كل سنة، أو تحديد اتجاه القبلة في أي موقع في العالم الإسلامي. . إلخ. وهذه المخطوطات كثيرة أتى على ذكر الموجود منها بدار الكتب المصرية الدكتور ديفيد كنج في كتابه «فهرس المخطوطات العلمية المحفوظة بدار الكتب المصرية، ١ - ٢، القاهرة ١٩٨١ - ١٩٨٦؛ وأيضًا كتابه King, A. D., *A Survey of the Scientific Manuscripts in the Egyptian National Library*, Cairo - American Research Center in Egypt 1986.

وأهم كتب الفلك والهيئة العربية المشتملة على صور توضيحية كتاب «صُوَر الكواكب» لأبي الحسين عبدالرحمن بن عمر الصوفي المتوفى سنة ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م، صَوَّر فيه الثوابت ومواقعها من الفلك، ثم صَوَّرها بأشكال ما سميت به من نسر ودب وتنين. . إلخ. ومن هذا الكتاب نسخة محفوظة في مكتبة البودليانا بأكسفورد برقم Marsh 144 كتبت في نهاية القرن الرابع الهجري [١]، ونسخة في مكتبة طوبقبوسراس باستانبول برقم ٢٤٩٣ كتبت سنة ٥٢٦هـ وتضم ٢٦ صورة، ونسخة ثالثة بمكتبة الفاتح باستانبول برقم ٣٤٢٢ يرجع تاريخها إلى سنة ٥٣٠هـ، ونسخة في متحف المتروبليتان بنيويورك [٢]. كما تحتفظ دار الكتب المصرية تحت رقم ٩ ميقات فارسي م بترجمة فارسية للكتاب كتبت سنة ١٠٤٣هـ تشتمل على صور للكواكب مرسومة بالألوان.

---

١ Emmy Wellesz, « An Early al-Sūfi Manuscripts in the Bodleina Library in Oxford - A study in islamic constellations images », *Ars Orietalis* III (1959), pp. 1-26.

٢ Joseph Upton, « A Manuscripts of the Book of the Fixed Stars », *Metropolitan Museum Studies* IV (March 1933).

[ونشر معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية وإطار جامعة فرانكفورت بطريقة الفاكسميلي نسخة البودليانا سنة ١٩٨٦].

ومن مؤلفات عبدالرحمن الصوفي الأخرى الموضَّحة بالأشكال كتاب «العمل بالاسطرلاب» وأقدم نسخه هي النسخة المؤرخة سنة ٦٧٦هـ والمحفوظة في مكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٣٥٠٩، و «رسالة في العمل بالاسطرلاب» ومنها نسخة موضَّحة أيضًا بالأشكال مؤرخة سنة ٨٧٢هـ في مكتبة آيا صوفيا باستانبول برقم ٢٦٤٢.

[ونشر الكتابين بطريقة الفاكسميلي معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت في مجلد واحد صدر سنة ١٩٨٦].

ويضاف إلى هذا النوع من المخطوطات المخطوطات المتعلّقة بالموسيقى التي تشتمل على صور للعديد من الآلات الموسيقية ووصف لأوتارها ودرجات النغم التي تصدر عنها. ومن أهمها كتاب «الموسيقى الكبير» للفارابي ومنه نسخة خزائنية كتبت سنة ٦٥٤هـ موضَّحة بالرسوم والأشكال محفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول برقم ٩٥٣، ونسخة خزائنية أخرى كتبت سنة ٧٤٨هـ موضَّحة أيضًا بالأشكال محفوظة في مكتبة الأمبروزيانا بميلانو برقم C 40.

وكتاب «الأدْوار» لصفي الدين عبدالمؤمن بن يوسف الأرْموي المتوفى سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م منه نسخة كتبت سنة ٦٣٣هـ في حياة المؤلف أغلب الظن بخطه مضبوطة بالشكل وموضَّحة بالرسوم والأشكال والجداول والعلامات الموسيقية محفوظة في مكتبة نور عثمانية باستانبول برقم ٣٦٥٣[١]، وكتاب «الأدْوار في التأليف» للأرْموي أيضًا وهو غير الكتاب السابق رغم اتفاقهما في العنوان، منه نسخة بخط نسخ جيد جدًا مضبوطة بالشكل وموضَّحة بالرسوم

---

[١] نشرها بطريقة الفاكسميلي معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت سنة ١٩٨٤.

والأشكال الموسيقية وعناوين فصولها مكتوبة بالخط الثُّلُث ترجع إلى القرن الثامن الهجري محفوظة في مكتبة الفاتح باستانبول برقم ٣٦٦٢.

وكذلك كتاب «كشْف الهموم والكُرَب في شرح آلة الطرب» الذي لم يعلم مؤلفه ومنه نسخة خزائنية بخط نسخ جميل كتبت برسم الخزانة العالية المولوية المحترمية المخدومية السيفية سيف الدين أبي بكر بن المقر المرحوم مُنكلي بغا الفخري رحمه الله، بها عدة صور ملونة لآلات الطرب الشرقية يعزف عليها العازفون محفوظة في مكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٣٤٦٥.